

# ذكر القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله، قال الإمام شيخ الإسلام رحمة الله: وكذا الصراط يمد فوق جهنم فمسلم ناج وأخر مهمل والنار يصلها الشقي بحكمة وكذا التقى إلى الجنان سيدخل ولكل حي عاقل في قبره عمل يقابلة هناك ويسأله هذا اعتقاد الشافعي ومالك وأبي حنيفة ثم أحمد بنقل فإن اتبعت سبيلهم فموفق وإن ابتعدت فما عليك معمول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. ذكرنا أن من أركان الإيمان: الإيمان باليوم الآخر؛ الذي هو عذاب القبر والبعث من القبور، وحشر الأجساد، وجمع الناس في يوم القيمة؛ أولهم وأخرهم، وما يكون في يوم القيمة بعد اجتماع الخلق. أولاً: أنه يطول وقوفهم، وذكر أن ذلك اليوم يكون كالف سنة، أو كخمسين ألف سنة، في قول الله تعالى: { وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَالْفِ سَنَةٌ مِمَّا تَعُدُّونَ } هذا اليوم هو يوم القيمة، ولكن قالوا: إن المؤمنين لا يحسون بطوله، وذلك لأن المؤمنين في نعيم، فهو عند المؤمن كصلة مكتوبة. وأما المعذبون فإنه يطول عليهم، فيكون عند بعضهم بأنه ألف سنة، وعند بعضهم كخمسين ألف سنة كما في قول الله تعالى: { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مُقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةً فَاضْبَرَ صَبَرًا حَمِيلًا إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَتَرَاهُ قَرِيبًا يَوْمٌ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلَ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعَهْنُ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا يُصْرُوْنَهُمْ يَوْمٌ يَوْمٌ الْمُجْرُمُ لَوْ يَقُولَ مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ يَبْتَهِ } . هذه الصفات تدل على أن هذا هو يوم القيمة، أنه اليوم الذي طوله كخمسين ألف سنة، وأن الكفار يرونوه بعيداً، يستبعدونه، فيقولون: إنه غير صحيح وغير واقع، قال الله: { وَتَرَاهُ قَرِيبًا } أي: نعرف ونؤكد أنه قريب؛ وذلك لأن ما هو آتٍ قريب، وقد أخبر الله تعالى باقتراب يوم القيمة، فقال عز وجل: { افْتَرَتْ لِلنَّاسِ حَسَابُهُمْ وَهُمْ فِي عَقْلَةٍ مُغَرْضُونَ } أي: قرب حسابهم أي قرب يوم القيمة. وقال الله تعالى: { افْتَرَتِ السَّاعَةُ وَإِنْشَقَ الْقَمَرُ } أي: قربت، وقرب قيامها، وقال الله تعالى: { أَئْنِي أَمْرُ اللَّهِ قَلَّا تَسْعَ عَلَوْهُ } أي: قرب إيمائه، فكل ما هو آتٍ قريب. هذا اليوم الذي ذكر الله ما يكون فيه { يَوْمٌ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلُ } أي: تذوب وتقطعل، كما في قوله تعالى: { وَيَوْمٌ تَسْقُقُ السَّمَاءُ بِالْعَمَامِ } وقال تعالى: { إِذَا السَّمَاءُ انْسَقَتْ } { إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ } { وَفُتَحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا } فتشق السماء و تكون كالمهل، وتكون الجبال كالعهن، أي أن الجبال مع شموخها، ومع صلباتها تكون كالعهن: كما في قوله تعالى: { وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعَهْنِ الْمَنْفُوشُ } يعني: كالقطن الذي تُفسح وتقطع قطعاً وتطارت به الرياح. فهكذا هذه الجبال تسير من مكانها، وتزول، وتبقى الأرض مستوية؛ يمددها الله تعالى كما في قوله تعالى: { وَبَسَّأَلَوْكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَتَسْفَهُ رَبِّي تَسْفَهًا فَيَدْرُهَا قَاعًا صَفَصَفًا } أي: يذر هذه الأرض قاعاً صفصفاً { لَا تَرَى فِيهَا عَوْجًا وَلَا أَمْنًا } . يجمع الله تعالى عليها خلقه؛ أولهم وأخرهم يحتاجون في صعيد واحد، ثم يطول وقوفهم، وفي هذا الوقوف، ورد أنه يلجمهم العرق، فمنهم من يأخذ إلى كعبته، ومنهم من يأخذ إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذ إلى حقوبه، ومنهم من يأخذ إلى ثدييه، ومنهم من يأخذ إلى ترقوتيه، ومنهم من يلجمه إلحااماً المؤمنون والأنبياء، فإنهم لا يتذرون بذلك؛ ولكن إذا طال الوقوف طلبوا من يشفع لهم عند الله تعالى حتى يريحهم من طول الموقف، فيقولون: من يشفع لنا؟ فيقولون: ما أحق بهذا من أبيكم آدم؛ فيعتذر آدم ثم يأتون نوحًا فيعتذر، ثم يأتون إبراهيم ثم موسى ثم عيسى وكل منهم يذكر له ذبباً أو يعتذر، فإذا أتوا إلى نبينا - صلى الله عليه وسلم - قال: أنا لها فيشفع حتى يريح الله الخلق من طول الموقف، فيجيء الله لفصل القضاء بين عباده كما يشاء يأتي لفصل القضاء بين عباده، ثم يحاسبهم. فأولاً: تنشر الدواوين التي كتب فيها الأعمال، فيقرأ كل منهم كتابه، ويقال: { افْرُّ كِتَابَكَ كَفَى بِتَقْسِيسِكِ الْيَوْمِ عَلَيْكَ حَسِيبًا } يقول الله تعالى: { وَوُضِعَ الْكِتَابُ } يعني: كتاب الأعمال، { فَتَرَى الْمُجْرُمِينَ مُشْفِقِينَ } خائفين { مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيَلْتَهَا مَالَ هَذَا الْكِتَابُ لَا يُعَادُرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَخْصَاصًا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلَمُ رَبُّكَ أَحَدًا } تنشر لهم هذه الكتب التي كتبت فيها سيئاتهم، وكتبت فيها حسناتهم وكتبت فيها أعمالهم فلا يفقدون صغيرة ولا كبيرة، كلها محصلة عليهم؛ كما قال الله تعالى: { يَوْمَ يَعْنِتُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا قَيْنَتُهُمْ مِمَّا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَتَسْوُهُ } أحصاه الله وكتبه عليهم، ونسوه؛ ولكن إذا عرض عليهم لا يقدرون على أن ينكروا منه شيئاً، هذا الحساب. ورد قوله صلى الله عليه وسلم: { مَا مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٌ إِلَّا سِكْلَمَهُ رَبُّهُ لِيُسَيِّرَ إِلَيْهِ وَلِيُنَظِّرَ أَمَامَهُ فَلَا يَرِي إِلَّا نَارًا؛ فَانْقُوا النَّارَ، وَلَوْ بَثَقَ تَرْمِةً، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِي كُلِّهِ طَيْبًا } . كذلك أيضاً مما يكون في يوم القيمة ما تقدم من الميزان الذي يوضع { وَتَضَعُ الْمَوَارِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ } وكذلك في عرصات القيمة الحوض المورود، وتقدم أيضاً أنه أكبر حياض الأنبياء، وأنه - صلى الله عليه وسلم - أكثرهم وارداً. ومما يكون في يوم القيمة تطوير الصحف: فأخذ كتابه بيمنيه، وأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره، قال الله تعالى: { قَامَا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمْ افْرُءُوا كِتَابِيَّةً إِنِّي طَبَّتْ أَنِي مُلَاقِ حِسَابِيَّةَ فَهُوَ فِي عَيْشَةِ رَاضِيَّةِ } . قال بعض العلماء: إنه مكتوب في ذلك الكتاب أنه بطاقة صغيرة علامة على السعادة مكتوب فيها: هذا كتاب من الله تعالى لفلان ابن لدخلوه جنة عالية قطوفها دانية؛ يُسْرُ بذلك وبشرقه وجهه كما في قوله تعالى: { وَأَمَّا الَّذِينَ أَيْضَثُ وَجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ } فيشرق وجههم ويسفر كما في قوله: { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ صَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ } . يقول لهن لقبيه: { هَاؤُمْ افْرُءُوا كِتَابِيَّةً } كل من لقبيه يفرجه { هَاؤُمْ افْرُءُوا كِتَابِيَّةً } . ثم ذكر الله: { وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشَمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أَوْتِ كِتَابِيَّةَ وَلَمْ أَذْرِ مَا حِسَابِيَّةَ } . هكذا أخبر الله أنه يتنمى أنه لم يؤت كتابه، في آية أخرى يقول الله: { وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ وَرَاءَ طَهْرِهِ } قيل: إن يده اليسرى تلوى من وراء الظهر؛ فيعطي كتابه بيده اليسرى، وتكون ملوية من وراء ظهره علامة على شقائه: { وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ وَرَاءَ طَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو بُئُورًا وَيَصْلِي سَعِيًّا } يدعون شوراً في الموقف، ويدعوا شوراً في النار؛ كما يقول تعالى: { دَعُوا هُنَالِكَ بُئُورًا لَأَنَّدْعُوا إِلَيْهِمْ بُئُورًا وَاجِدًا وَادْعُوا بُئُورًا كَثِيرًا } يدعون على أنفسهم بالثور الذي هو الخسار، هذه حالتهم عندما تطوير الصحف. ورد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سئل هل يسأل بعضهم بعضاً، أو يسأل أحدهم عن إخوته، وعن أحبابه، وأهله فقال: { أَمَا فِي ثَلَاثَ حَالَاتٍ فَلَا يَتَسَاءَلُونَ ثُمَّ ذَكَرَ عَنْ الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْرَفَ هُلْ يَخْفِي مِيزَانَهُ } وينقل، وعند تطوير الصحف حتى يعرف هل يأخذ كتابه بيمنيه أو بشماله، وعند الحساب حتى يقرأ حسابه. يعني أنهم في هذه الحالات في أمر عظيم، وفي أمر مهم لا شك أن هذا مما جاءت الأدلة به يؤمن به أهل السنة، ويشتتون ذلك وليس في العقل، ولا في النقل ما يرجده، فيكون من عقيدة المسلمين الذين يؤمنون بالله وبال يوم الآخر.